دور الكنيسة الرسوليّة الأنطاكية في خدمة بولس

القس عيسى دياب

١ – الكنيسة الأنطاكيّة: شعبها ولاهوتها

في الوقت الذي كان فيه الرب يتعامل مع بولس على طريقته، كانت الكنيسة تتعرض لأحداث شتى. بعد أن انتهت المواجهة بين مجمع السنهدريم واستيفانوس بموت الأخير رجماً، امتد الاضطهاد ليطال مسيحيي أورشليم، وبنتيجته، تهجر بعضهم إلى فينيقيا، والبعض الآخر إلى قبرص، وقسم ثالث ذهب واستقر في أنطاكيا. في هذه الأماكن، شرع المسيحيون يبشرون بالمسيح، لكنهم لم يكونوا يقاربون الا اليهود، ظنّاً منهم أن المواعيد المشيحانيّة هي لهم فقط. لكن قسماً من هؤلاء المسيحيين المضطهدين «اللاجئين»، وكانوا على ما يظهر يهوداً قبارصة ويهوداً قيروانيين، لما دخلوا أنطاكيا كانوا يبشرون الوثنيين اليونانيين أيضاً. نمت هذه الحركة التبشيرية في أنطاكيا، حتى تأسست، على أثرها، كنيسة كانت خليطاً من المسيحيين الذين أتوا من خلفية يهودية أو من خلفية يونانية، بالاضافة، طبعاً، الى المهتدين من السوريين الأنطاكيين (أع ١١: ١٩–٢١).

نمت كنيسة أنطاكيا بسرعة، وأصبحت تُضاهي أكبر كنيسة آنذاك، هي كنيسة أورشليم. فان كانت هذه الكنيسة الأم لليهود المسيحيين، أصبحت أنطاكيا الكنيسة الأم للمسيحيين الأمميين. وهناك، في أنطاكيا، دُعي أتباع يسوع المسيح «مسيحيين» لأوّل مرة (أع ١١: ٢٦ب). اذاً، هذه سابقة يجب أن تُسجل لكنيسة أنطاكيا، ونحن المسيحيين مدينون باسمنا لهذه الكنيسة المباركة.

ان امتداد البشارة، لتشمل وثنيي اليونان وآراميي سوريا، كان عملاً رائداً آنذاك. لم يكن الرسل قد وعوا بعد هذه المهمة، اذ أنهم كانوا ما زالوا مشبعين بالفكر اليهودي العنصري، أي أن مواعيد الله لليهود فقط. ولم تنضج هذه الفكرة الاّ بعد أن لبى الرسول بطرس دعوة كرنيليوس، قائد المئة الروماني، وبشره بالمسيح، وحلّ عليه الروح القدس مع جماعة من الرومان المهتدين (أع ١٠). ان تبشير «الأمم» سابقة ثانية يجب أن تُسجل لكنيسة أنطاكيا.

أصبحت كنيسة أنطاكيا محط الأنظار، فقصدها أنبياء وقادة من أورشليم: برنابا وأغابوس (أع ١١: ٢٢ و٢٧–٢٨). كتب الطبيب لوقا عن هذه الكنيسة: «وكان في أنطاكيا في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون، برنابا وسمعان، الذي يدعى نيجر، ولوكيوس القيرواني ومناين، الذي تربى مع هيرودس، رئيس الربع، وشاول» (أع ١٣: ١).

تُظهر هذه الصورة لنا المستوى الروحي والمكانة الرفيعة، التي وصلت اليها كنيسة أنطاكيا. كان يوجد فيها قادة روحيون رفيعو المستوى، من أصحاب المواهب والرؤى. فوجود شخص مثل مناين المتربي مع الملك هيرودس لدليل على مكانة هذه الكنيسة الاجتماعية، بالرغم من أن المسيحية، في بداية عهدها، لم تجذب الا فقراء الشعب والمضطهدين والمقهورين. لقد ظهرت الوظائف (أنبياء ومعلمون) التي كانت متمثلة بخدمة برنابا وشاول. ان وجود سمعان «النيجر» (أسود) ولوكيوس، وكلاهما من القيروان («شحات» الحالية الواقعة على بعد ٢٢٤ كلم شرقي بنغازي في ليبيا)، حيث كانت قد تأسست هناك كنيسة (أع ١١: ٢٠)، لدليل على أن هذه الكنيسة بنت جسوراً مع كنائس في البلدان البعيدة. ومجمل الصورة تدل على كنيسة محكمة التنظيم. وكانت

طموحات قادة كنيسة أنطاكيا الروحية وشعورهم بالمسؤولية تجاه الوثنيين تتجاوز حدود الكنيسة وحدود المنطقة الى العالم البعيد. لقد كان ارسال بولس وبرنابا من أنطاكيا في الرحلة الارسالية الأولى عملا مميزا وفريدا ورائدا، اذ أن الكنيسة الأم في أورشليم لم تفكر بأخذ هذه المبادرة. لا شك في أن هذه الخطوة صدرت من فكر قيادة كنسية ذات رؤية وشعور بالمسؤولية والالتزام في رسالة يسوع المسيح.

٢- بولس في أنطاكيا ومنها

من المعلوم أن بولس اهتدى الى المسيحية بينما كان في طريقه الى دمشق، وبعد دمشق ذهب الى العربية. ثم بعد أربعة عشر سنة ذهب الى أورشليم حيث اجتمع برجالات الكنيسة المسيحية، أهمهم الرسل. أخيراً عاد الى بلده طرسوس يمارس حياته العادية.

لما سمعت كنيسة أورشليم بخبر حدوث الانتعاش الروحي في أنطاكيا، أرسلت اليهم برنابا «الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب...، فانضم الى الرب جمع غفير» (أع ١١: ٢٣-٢٤).

وعندما رأى برنابا أن المسؤولية تزداد عليه، وانه يحتاج الى من يساعده، انتقل الى طرسوس، ولما وجد بولس، أتى به الى أنطاكيا. وفي كنيسة أنطاكيا عمل برنابا وبولس معا سنة كاملة.

وابتدأت مسيرة بولس الرسولية من هناك، من أنطاكيا. يظن F. F. Bruce انه، خلال الفترة الممتدة من ذهاب بولس الى طرسوس بعد اهتدائه، ومجيئه الى أنطاكيا (١٤ سنة)، حدثت له الرؤيا التي كتب عنها في رسالته الثانية الى الكورنثيين (١٢: ٢-١٠)[١]. اذا كانت هذه المعلومة دقيقة، وفي اغلب الظن هي كذلك، فتكون هذه الرؤيا قد أثّرت في بولس تأثيراً عميقاً، وتركت بصماتها في جميع مراحل خدمته. بحسب سيرة اهتدائه المدونة في أع ٢٢: ١٧ي، يتكلم بولس على رؤيا أخرى حدثت له بُعَيد اهتدائه، بعد أن ترك دمشق وذهب الى أورشليم، ودخل الهيكل ليصلي، حيث قال له الرب في الرؤيا: «اذهب فاني سأرسلك الى الأمم بعيدا» (آ ٢١). وجاء الوقت ليتواجد بولس في أنطاكيا أمام جمهور من «الأمم»، انها الفرصة السانحة له ليحقق دعوته في أنطاكيا، التي منها سيُرسَل، واليها سيعود.

يحدثنا لوقا عن انه، عند حدوث المجاعة في أورشليم، أرسلت كنيسة أنطاكيا وفداً لتفقد المسيحيين في المدينة المقدسة (أع ١١: ٢٨). ويحدثنا بولس في رسالته الى الغلاطيين (٢: ١-١٠) عن زيارة قام بها وبرنابا، برفقة تيطس، الى أورشليم بينما كانا يعملان معا في أنطاكيا (١٤سنة بعد الزيارة الأخيرة او بعد اهتدائه). ويُفيد بولس بأنه قام بهذه الزيارة بناء لاعلان له من الرب. ونفهم من الرسالة نفسها ومن سفر الأعمال أن البعض في أورشليم اعترضوا على الرسالة التي كان يقدمها بولس في أنطاكيا، لتتذكر بأنها رسالة موجهة الى «الأمم»، ولا تناسب المسيحيين اليهود المتزمّتين المنغلقين في عصبيتهم. لكنه استطاع أخيراً أن يقنعهم بها، فكتب عن هذا الاختبار: «وانما صعدت باعلان، وعرضت عليهم الانجيل الذي أكرز به بين الأمم... فان هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء. بل بالعكس، اذ رأوني أني اؤتمنت على انجيل الغرلة، كما بطرس على انجيل الختان، فان الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيّ أيضاً لرسالة الأمم. فاذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان» (غل ٢: ٢-٩). وبعد انتهاء الزيارة الى أورشليم وتحقيق الهدف، عاد بولس وبرنابا الى أنطاكيا مصطحبين معهما يوحنا مرقس (أع ١٢: ٢٥).

والآن أصبحت الطريق ممهدة أمام بولس لكي يحقق دعوته بحسب رؤياه: كنيسة مناسبة ومشجعة (أنطاكيا)، ورسالة للأمم موافق عليها من قبل الرسل في الكنيسة الأم.

«وكان في أنطاكيا في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون... وبينما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس: افرزوا لي برنابا وشاول (بولس) للعمل الذي دعوتهما اليه. فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما» (أع ١٣: ١-٣).

كانت أنطاكيا الكنيسة الأم، الكنيسة المرسِلة بالنسبة الى بولس، وكان، كلما ذهب في رحلة تبشيرية، يعود اليها ليشرك أبناءها ومسؤوليها في أخبار الخدمة المفرحة، وبالثمار الكثيرة لمجد الله. ففي نهاية رحلته التبشيرية الأولى، كتب لوقا: «ومن هناك سافرا في البحر الى أنطاكيا حيث كانا قد أُسلما الى نعمة الله للعمل الذي أكملاه. ولما حضرا وجمعا الكنيسة، أخبرا بكل ما صنع الله لهما وانه فتح للأمم باب الايمان. وأقاما هناك

١- F. F. Bruce, *Paul Apostle of the Free Spirit*. The Paternoster Press, 1977, ٥1988, p. 134.

زمانا ليس بقليل مع التلاميذ» (أع ١٤: ٢٦-٢٨).

بعد عودة بولس وبرنابا من الرحلة التبشيرية الأولى، حدث أن «انحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الأخوة أنه، ان لم تختتنوا حسب عادة موسى، لا يمكنكم أن تخلصوا» (أع ١٥: ١). يعتبر هذا التعليم تعدياً على «انجيل» بولس وبرنابا، لذلك، فقد تصدت كنيسة أنطاكيا لهذا التعليم، وقام جدل عقيم مع هؤلاء المتهوّدين الذين سلبوا الكنيسة سلامها واتفاقها، الأمر الذي أدى لأن يُرفع الأمر الى الرسل في كنيسة أورشليم لتحكم في هذه المسألة، فأُرسل بولس وبرنابا الى هناك لهذا الغرض. وانعقد المجمع في أورشليم، سنة ٤٩/٥٠ وانتصر الرأي الأورثوذكسي، الذي هو رأي بولس وكنيسة أنطاكيا. بعد ذلك، وكالعادة، عاد الرسولان الى أنطاكيا، مصطحبين معهما يهوذا وسيلا، للاعداد لرحلة تبشيرية ثانية (أع ١٤: ٢؛ ١٥). ان هذا الانتصار للاهوت الأنطاكي حفظ المسيحية من أن تصبح إحدى الفرق اليهودية.

أرسلت كنيسة أنطاكيا الرسول بولس في ثلاث رحلات تبشيرية (أع ١٣: ١-٣؛ ١٥: ٤٠؛ ١٨: ٢٣)، وقد عاد الى الكنيسة هناك بعد الرحلتين التبشيريتين الأوليين، ليقدم لها تقريرا عن خدمته (أع ١٤: ٢٦-٢٨؛ ١٨: ٢٢). وأما في الرحلة الثالثة فلم يعد الى أنطاكيا لأنه ألقي القبض عليه في أورشليم، وهو أسير أُرسل الى روما حيث بقي مسجوناً حتى نهاية سفر الأعمال.

ولطالما كان بولس، في كل مكان ذهب اليه، وفي كل ظرف مر به، لطالما تذكر ذلك المشهد البديع عندما فرزته الكنيسة الأنطاكية لخدمة التبشير والكرازة وتبشير الكنائس في ما وراء البحار. وكانت لهذه الذكرى أثرها النوستالجي والدينامي في دعوته.

٣- دور أنطاكيا في خدمة بولس

لا ندري من أثّر في الآخر، بين بولس وكنيسة أنطاكيا. مما لا شك فيه أن هذه الروحانية الأنطاكية كانت جزئيا نتيجة خدمة بولس الذي نجح في نقل روحانيته ورؤيته الى الكنيسة وقادتها، ولكن، وفي نفس الوقت، لا ننكر على الكنيسة روحانيتها التي عملت في بولس أيضاً. ولا شك أن هذه النتيجة الجيدة، كانت وليدة انسجام تام بين رؤية بولس ودعوته بواسطة الله، من جهة، والروحانية الأنطاكية المنفتحة والمسؤولة، من جهة ثانية.

ان المناخ الروحي والتعليم اللاهوتي وروح التشجيع التي تهيأت لبولس في كنيسة أنطاكيا، أعطته دفعاً كبيراً وكان لها الأثر الكبير الدائم الداعم في حياة بولس الشخصية وعمله الرسولي. ما هي يا ترى المؤثرات الأنطاكية في حياة الرسول بولس وخدمته؟

أوّلاً: الانفتاح على الأمم

بينما كان «انجيل» كنيسة أورشليم انجيلاً يهودياً (محصوراً باليهود)، كان «انجيل» غلاطيا انجيلاً مسكونياً (لكل أمم الأرض). يظهر هذا من تركيبة كنيسة أنطاكيا: يهود وأمم. لا نعرف مصدر هذا الانفتاح على الأمم، هل هو رؤية بولس نقلها الى الكنيسة الأنطاكية خلال خدمته فيها؟ أم هو فرادة أنطاكيا تأثر بها بولس؟ الله أعلم. ما نعرفه هو أنه حصل التزاوج بين بولس وأنطاكيا حول هذا الأمر، فولدت كنائس عديدة بين الأمم. لم يكن هذا شيئا تقليديا عند بدايات المسيحية، وهذا ما شجع بولس على المسير قدما في رسالته الانجيلية المتميزة. فأنطاكيا مستودع ومحرك لصياغة خطاب مسيحي موجه الى الأمم. نظن بأن رؤية بولس وتكريس نفسه لتبشير الوثنيين من الأمم ما هما الاّ نتاج الكنيسة الأنطاكية. وبالفعل، فهي أول كنيسة قبلت في عضويتها مؤمنين من اصل غير يهودي، وبولس المشبع بالفكر اليهودي، قد خدم هؤلاء المؤمنين في كنيسة أنطاكيا. وقد ظهر أن هؤلاء المؤمنين الأمميين كانوا يتمتعون بايمان عميق وسيرة مقدسة، الأمر الذي ربما يكون قد ترك في بولس أثرا طيبا، فرأى أمامه مثالا حيا أقنعه بأنه بامكان الأمميين أن يدخلوا العهد، وان يستفيدوا من التدبير الخلاصي الذي أعده الله للبشر. ان تركيبة الكنيسة الأنطاكية المسكونية أخرجت لاهوتاً مميزاً لم يكن معروفاً قبل ذلك في الكنيسة المسيحية. وهذا اللاهوت المميز ترك في بولس أثرا فريدا صبغ شخصيته وخدمته ورسائله.

ان تمايز اللاهوت الأنطاكي في بدايته لم يؤثر في بولس فحسب، بل وفي الرسل كلهم، وفي كنيسة أورشليم في النهاية، لا بل في المسيحية. فلولا هذا اللاهوت الأنطاكي، ولو عاد الأمر الى كنيسة أورشليم، لتحددت الكرازة بالمسيح في المجتمع اليهودي، أو لكانت المسيحية قد أصبحت فرقة يهودية. ان أنطاكيا عظيمة، ومن أعمالها العظيمة، أنها أخرجت المسيحية من براثن اليهودية.

ثانياً: التنظيم الكنسي

اذا تتبعنا رحلات بولس التبشيرية نجد

أنه بشّر في كل مكان وأسس كنائس عديدة ووضع لها أشكالاً تنظيمية؛ فكان يقيم لهم الشيوخ ويدرب الرعاة ويعلمهم ممارسة الطقوس ويشرح لهم العقيدة. نخطئ اذا ظننّا أن هذا كله من وضع بولس، بل لا بد أن يكون للكنيسة التي تدرب وخدم فيها بولس دور في هذه الأشكال التنظيمية.

ثالثاً: التبشير المرسلي

لقد قامت أول ارسالية مسيحية في أنطاكيا، وأرسل أول مرسل مسيحي من كنيسة أنطاكيا. العمل المرسلي استنباط انطاكي. لا نستطيع أن نعرف مدى تحمل كنيسة أنطاكيا المسؤولية المادية تجاه بولس، أما المسؤولية المعنوية، الروحية والمرجعية، فقد تحملتها على أكمل وجه. نعرف أن بولس كان يتكل على نفسه وعلى عمله من أجل تغطية مصاريفه، ونعرف أنه كان يستلم هبات من بعض الكنائس، لكن نعرف أيضا أنه كان، في نهاية كل رحلة تبشيرية، يعود الى أنطاكيا ليطلع المسؤولين على النتائج وليأخذ منهم التوجيهات والنصائح. ففي الخلاف الذي حدث بين بولس وبرنابا بشأن يوحنا مرقس (أع ١٥: ٣٦-٤١)، لا بد أن تكون أنطاكيا قد تحملت مسؤولياتها وساهمت في وضع الحل.

٤- خاتمة

ان قصة «بولس وأنطاكيا» ترينا كم تستطيع كنيسة محلية أن تؤثر في أبنائها من أجل تنميتهم ودعمهم وبلورة الرؤيا عندهم واطلاقهم لخدمة الله من أجل أن يعرف كل بشر خلاص الرب. هل نعود، نحن الأنطاكيين الى هذه الروحانية الأنطاكية الثمينة؟

سيقى بطرس وبولس متّحدَين معاً والمسيح،
بالرغم من خلافهما العابر في أنطاكيا